الوظائف الرسمية والمهن الحرة بسيرتا عاصمة النوميديين من خلال نصب معبد الحفرة

ملخص

حاولت في هذه الدراسة الاعتماد على نصب معبد الحفرة، معبد مدينة سيرتا، لإلقاء الضوء على جانب من جوانب مجتمع المدينة في القرن الثاني ق.م ، من خلال التطرق إلى بعض الوظائف الرسمية و المهن الحرة التي كانوا يمارسونها، والتي استخلصنا منها أن المجتمع السيرتي كان مجتمع منظم ومتحضر ومتفتح على الحضارات المعاصرة.

أ. زينب بلعابد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة قسنطينة 2
الجزائر

Résumé

Dans cette étude, l'auteure tente de faire la lumière sur un aspect de la société cirtienne au cours du deuxième siècle av.J.C en s'appuyant sur les stèles de sanctuaire d'El-Hofra (le sanctuaire de la ville de Cirta). Elle évoque les diverses fonctions officielles et métiers libres de la société cirtienne qui témoignent de sa civilisation et son ouverture aux civilisations contemporaines.

مقدمة

يتناول هذا المقال دراسة لفترة من فترات تاريخ مدينة سيرتا، والمتمثلة في المرحلة النوميدية، التي تعتبر من أهم المراحل التاريخية في تكوين الشخصية الجزائرية أو المغاربية، إذ هي المحطة التي نميز فيها بين الشخصية الليبية المحلية والتأثيرات البونية أو الهيلينيستية وحتى الرومانية. ولعل هذا الامتزاج بين ما هو محلي وما هو خارجي، أدى إلى ظهور حضارة متأثرة كثيرا بالحضارة البونية، إذا لم نقل أنها الوريث الوحيد لها.

غير أن الفترة النوميدية، لم تدرس جيدا، حتى أنها لم تكن ضمن الدراسات التي

© جامعة قسنطينة1، الجزائر2014.

أنجزت أثناء الفترة الاستعمارية ،التي تركزت أساسا على الفترة الرومانية. ولعل هذا ما دفعني لدراسة هذا الموضوع، محاولة إلقاء الضوء على جانب من جوانب تاريخ المدينة الذي لا يزال غامضا، خاصة وأن الحضارة النوميدية تركت لنا معالم منتشرة على كامل التراب المغرب القديم، والتي خصت بكثرة الجانب الديني.

هذا التنوع الذي شاهدته في المعالم الدينية، جعلني أفكر في اختيار نصب معبد الحفرة لتكون مصدر دراستي، خاصة وأنها تعود إلى حوالي القرن الثالث والثاني ق. م. و هي فترة ازدهار المملكة النوميدية على يد الملك " ماسينيسا " والملك " ماكوسن " أو ما يعرف بـ" ميسيبسا" ، أملا مني في معرفة بعض جوانب الحياة الاجتماعية بسيرتا ، خاصة خلال القرن الثاني ق.م؟ وأهم الطبقات الاجتماعية بعاصمة المملكة النوميدية؟ وأهم المهن الرسمية والحرة التي أبرزتها النذور المنقوشة على النصب؟

إلا أن للإجابة على هذه التساؤلات، يجب الاعتماد على نصب معبد الحفرة سواء المحفوظة بمتحف سيرتا الوطني، أو متحف اللوفر بفرنسا، وهي السبيل الأساسي لهذه الدراسة و على نصب أخرى موزعة على التراب النوميدي، مثل " نصب دوقا" ، لأن المصادر الأدبية المتعلقة بهذا الموضوع نادرة إذا لم نقل منعدمة. وحتى أن المادة العلمية التي توفرها هذه النصب أو غيرها، كانت سطحية للغاية وهي عبارة عن إهداءات أو زخارف أو مشخصات. وحتى أتمكن من إملاء الفجوات التي اعترضتني، قمت بمقارنة النتائج التي توصلت إليها بالأبحاث الأثرية داخل العالم البوني و خاصة القرطاجي منه. فكان الموضوع على النحو التالي:

نصب معبد الحفرة بسيرتا:

قبل الخوض في موضوع الدراسة، وجدت من الضروري أن نعرف بنصب معبد الحفر المتواجد على هضبة مرتفعة في الجنوب الغربي بسيرتا و بالضبط في مدخل المدينة " على أرضية المنحدر الغربي لمرتفع الحفرة، و كان على بعد حوالي 150م. من مبنى فندق ترانزطلانتيك" Transatlantique. و الذي عثر عليه سنة 1950 من طرف السيد " أ. برتيي" والسيد " ر. شرليي" R. Charlier" (1) (أنظر الخريطة رقم 1).

خريطة رقم 1 - **قسنطينة خلال الفترة النوميدو –بونية**

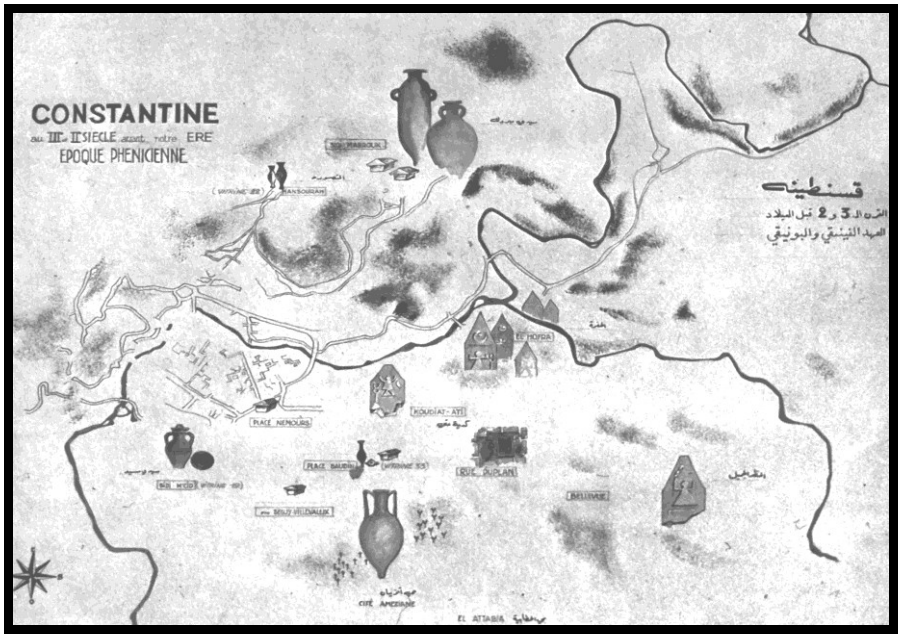

وقد كان معبد الحفرة في البداية عبارة عن فضاء مقدس مفتوح على الهواء، حمل في كتب المؤرخين المعاصرين اسم"توفاة"، قياسا على ما ورد في بعض أسفار التوراة (2) ، ثم فيما بعد بني على الأنماط المعمارية للحضارة البونية خلال القرن الثاني ق.م. (3) (أنظر الشكل رقم 1)

الشكل رقم 1- **مخطط معبد الحفرة بقسنطينة**

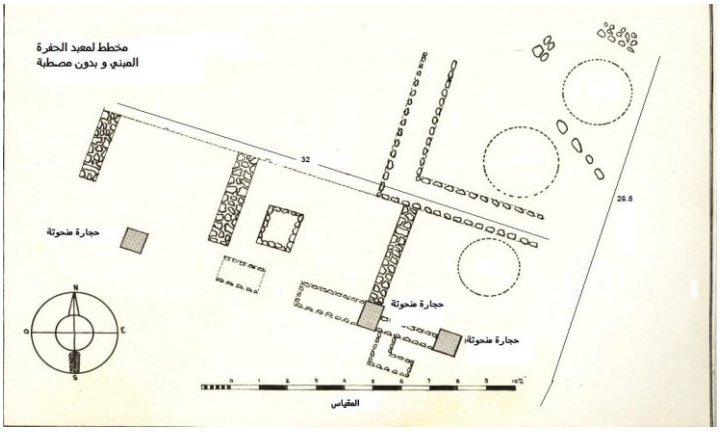

لقد قدمت مدينة سيرتا العاصمة النوميدية، خلال تنقيبات القرن التاسع عشر العديد من النصب النذرية، والتي قدرت بحوالي ثمانية وخمسين نصب وقطعة نصب. وبهذا العدد احتلت المرتبة الثانية بعد قرطاج، والمرتبة الأولى بعد " حضرموت" بتونس من حيث عدد النصب البونية (4). واكتشفت هذه النصب في ستة مناطق بالمدينة كما يبينه الجدول رقم 1.

الجدول رقم 1

المنطقة	العدد	السنة
المقبرة المسيحية	**34 نصب**	**1858**
الصخرة	**1نصب و كسر من نصب**	**1866**
الحفرة	**750 نصب و جزء من نصب**	**مابين 1875-1950**
كدية عاتي	**17 نصب**	**منذ حوالي 1876**
المنظر الجميل	**10 نصب**	**ما بين 1912-1927**
المنصورة	**جزء من نصب**	**1952**

والملاحظ أن أكبر اكتشاف لها، كان لأول مرة من طرف الباحث ل.كوسته " Costa L. "، الذي عثر على **130** نصب سنة **1875**، والتقنيات الأثرية التي أجريت من طرف الباحث أ.برتي "A.Berthier" سنة **1950**، والتي أسفرت على اكتشاف **700** نصب و قطعة نصب (5)، و بهذين الاكتشافين قد بلغ العدد **850** نصب موزعة بين متحف سيرتا الوطني قسنطينة ومتحف اللوفر بفرنسا.(أنظر الشكل رقم 2)

الشكل رقم 2- **معبد لحفرة عند بداية التنقيب**

من المصادرات الهيكلية كثير بسبب وقوع بعض جثث من التنقيب. إنها تساعد الباحث

في دراسة المجتمعات القديمة، حيث يستفيد منها في قراءة بعض المعلومات الثمينة عن رجال السياسة، رجال الدين، أعيان وكبار القوم والتجار والحرفيين، كما تسلط الضوء على منزلة المرأة في المجتمع، وتعرف ظروف عيش العبيد وعلاقاتهم بالأسياد والحقوق التي تضمنها الدولة لهم. وعن الآلهة واحتفالاتهم والمعابد وشعائرهم والهدايا والتقديمات التي تصاحب العابدين وإبتهلاتهم وصلواتهم، إذن فكيف كان المجتمع السيرتي خلال القرن الثاني ق.م. حسب الصيغ النذرية لنصب الحفرة؟

1.المجتمع السرتي من خلال نصب معبد الحفرة :

لقد رسمت لنا النقوش النذرية لمعبد الحفرة، صورة عن المجتمع السرتي تحت حكم الملك ماسينيسا **"Massinissa"(*)**وأبنه مكوسن **"Micipsa"(**)** (6) أوضحت أن المجتمع يتميز بالتحضر والتفتح والتعايش بين الفئات، وأن المجتمع السرتي يتكون استنادا للصيغ النذرية لهذه النصب من فئة المواطنين وفئة الأجانب، حيث تتكون فئة المواطنين كما هي العادة من الأثرياء، الذين يملكون ممتلكات عينية وعقارية ومالية، مما يرشحهم للقيام بأدوار مهمة في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية، فهم الذين يستطيعون بعث المشاريع الصناعية والتجارية والزراعية وهم الذين يمتلكون الأساطيل وهزونها ببضائع توزع في مختلف الموانئ والأسواق المملكة.

أما الصنف الثاني من المواطنين السرتين، فهي الفئة المتوسطة التي تعتبر الفئة الفعّالة في المجتمع، حيث تتعاطى مهنا حرة، كما هي مبينة على نقوش نصب المعبد. حيث وجدنا أطباء ونجارين وخزافين وصانعي الأقواس وغيرهم من المهن ... ولقد كانت تعتز هذه الفئة بحرفها ومهنها، مما دفعها إلى كتابتها على متن النصب التي يقدمونها كنذور للآلهة.

وبفضل هذه النقوش أيضا، تمكنا من إثبات حضور المرأة في معبد "بعل حمون" فمن حقها وفي أمكانيها تقديم القرابين ويذكر اسمها وأن تتقلد وظيفة الكاهنة، وكانت لا فرق بينها و بين الرجل. (7)

وكانت تعيش بمدينة سيرتا جاليات أجنية من كنعانيين (8)، إغريق (9) ولآتين (10) فضلا عن اللوبيين، السكان المحليين للمملكة الذين كانوا يغادرون قراهم وأريافهم متجهين إلى المدينة، إما للعمل أو التجارة. (11)

وبناء على هذه المعلومات المستنبطة من النقوش النذرية لمعبد الحفرة، جعلتني أفكر في إلقاء الضوء على فئة المواطنين الذين كانوا يمارسون وظائف إما إدارية أو عسكرية أو دينية وحتى مهم حرة خلال القرن الثاني ق.م في عاصمة مملكة نوميدية، والذين كانوا متأثرين بالعالم القرطاجي، ولعلني أستطيع تعميم ذلك على بقية مدن المملكة لكن بتحفظ.

1- وظائف رسمية و مهن حرة بعاصمة النوميدية :

نظرا لأهمية نقوش معبد الحفرة، التي تمثل جزءا مهما من تراثنا ومصادرنا التاريخية، فكان علينا أن نستفيد منها لإلقاء الضوء على جانب من جوانب الحضارة النوميدية التي نجدها مازلت غامضة ومبهمة تحتاج لتوضيح أكثر، خاصة أنها تعبر بصدق عن جذور حضارتنا الضاربة في التاريخ، فكان اختياري لموضوع الوظائف الرسمية والمهن الحرة من خلال نص معبد الحفرة. كما أنني أتستشفت منها أيضا عقلية أصحابها المعبرة عن اعتزاز المواطن السرتي بذاته و فخورا بحرفته حتى أنه لا يتخلى عن ذكرها، فوجدنا، صانع الفخار "عبد ملقارت بن ريش" والنجار "بعلياتون بن عبد عشتار" وصانع الأقواس "عبد عشتارت بن حنو...الخ". (12)

ولا غرو أن تتفاخر بعض الأسر بأبنائها الذين نالوا ثقة المواطنين، فمارسوا السلطة، كالقضاة والكهنة وضباط، فكان السرتي يتباهى بحضوره في المجتمع باسمه في تنشيط الحياة السياسية والاقتصادية و الدينية والعسكرية.

ومن هذا المنطلق، قمت بجمع بعض الوظائف الرسمية الإدارية والدينية والعسكرية وبعض المهن الحرة والتي أردنا من خلالها معرفة التنظيم الإداري والاقتصادي والديني والعسكري للمملكة النوميدية خلال القرن الثاني ق.م.

أ- وظائف رسمية بمدينة سيرتا :

لقد ظهرت على نصب معبد الحفرة العديد من أسماء لوظائف رسمية، كانت تمارس في عاصمة المملكة و التي أوحت لنا بتأثيرها إلى حد كبير بالنظم القرطاجية واخترنا من هذه الوظائف، **(ش ف ط) – (قاضي – حاكم)** و وظيفة **(ك هـ ن)** و وظيفة (**م ش ط ر) (ضابط)**.

1. وظيفة "ش ف ط " (حاكم – قاضي) : بعد أن تم حصر النصب التي ذكر فيها وظيفة **"ش ف ط "** والتي بلغت ثمانية (13) نصب، **(**أنظر الصورة رقم 1**)** أكدت لنا أن مدينة سيرتا متأثرة بالتنظيم الإداري البوني، الذي كان يمارس إما في قرطاج أو داخل المدن الساحلية للمملكة. وأن سيرتا على نهج التنظيم البلدي المعتمد على الأشفاط وتسير من طرف مجلس متكون من كبار تجار المدينة (بعلو سيرتا) الذي يرأسه شفطين، كما دلت على ذلك نقيشة معبد الحفرة، التي يذكر فيها، أنه تم النذر في عام **"شرم** و **شلوم"** (14) (أنظر الصورة رقم 2) أعتقد أنهما شفطان حكما بمدينة سيرتا، وما يؤكد ذلك أيضا، أنه عثر في المدينة على قطعة نقدية تحمل اسم الشفطين **"عبد ملقارت** و **حنو"**. (15)

صورة رقم 1
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير لوظيفة ش ف ط (الحاكم أو القاضي)

صورة رقم 2
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير للشفطان شرم و شلوم

أما عن الوظيفة التي كان يقوم بها الشفط، فيمثل السلطة التنفيذية المكلفة بتطبيق وتنفيذ ما يقرره المجلس، كما يوكل للقاضي القضاء بين الناس وإدارة شؤونهم طبقا للقوانين المصادق عليها.

لكن عن مقاييس اختيار الشفط فيمكن تلخيصها في الثروة والكفاءة والمستوى الثقافي، أي يجب أن يكون من كبار أعيان مدينة سيرتا. وتدوم فترة الحكم سنة واحدة مع إمكانية الترشح عدة مرات.

كان الشفطان، اللذين يترأسان "بعلو سيرتا" يتوليان دعوة المجلس للانعقاد وتهيئة جدول الأعمال بالتعاون مع لجان مختصة منتخبة هي الأخرى، و تعود إليهما رئاسة الجلسات وإدارة النقاش. كما يوكل إليهما أيضا تنفيذ السياسة المتفق عليها، وتفويض شؤون العدالة إلى قضاة مختصين مكلفين بالنظر في قضايا المواطنين ويصدرون أحكامهم في ضوء القانون و تطبيقا له. (16)

ولعل هذا النظام الإداري لم يكن يمارس فقط في سيرتا عاصمة المملكة، لكنه في كثير من المدن الأخرى، كما دلتنا على ذلك النصوص القديمة، حيث أشار ديودور الصقلي "**Diodore de Sicile** "، أنه خلال القرن الثالث ق.م، كانت مدينة

هكوتومبيل"**Hecotompyle**" (تبسة)، تسير من طرف القدماء أو كبار (17)**.** وورد عند سالوستيوس "**Sallustius**"، عند ذكره لحادثة القبض على الملك "سيفاقس"، أن المدن الشرقية للمملكة النوميدية، كانت تسير من طرف أعيان المدينة (18)**.** وهناك إشارات أخرى لتيبوس ليفيبوس "**Titiustivius**"، أن سيفاقس قد عين على رأس المدن الماسيلية التي أحتلها ولاة "**Perfecti**".(19)

إلا أن **نقيشة دوقا**، تشير إلى أنه في عهد الملك"مكوسن" كانت المدينة تسير من طرف بعلو "دوقا" وهو مجلس متكون من مواطنين يرأسهم ثلاث أشفاط (قضاة) بدل شفطان، كما هو معمول به في سيرتا، فلعله نظام محلي متأقلم مع المجتمع النوميدي.(20)

2.وظيفة (ك.هـ.ن) الكاهن : اعتبر المعبد، هيئة لها شخصيتها وحياتها المستقلة وكان يمثل الدور الديني، كما أعتبر مركزا للعلم و المعرفة، إلا أن المعبد حتى يقوم بالأدوار المنوطة به، وظف العديد من الكهنة لإقامة الشعائر والإشراف على الذبائح وإعداد الاحتفالات و الأناشيد.

واستنتجنا من خلال نقوش نصب معبد الحفرة، أن المجتمع السرتي، مجتمع متدين، يتردد على المعابد لأداء فرائضه و تقديم نذوره وأن الكهنة الموظفين كانوا يخضعون لمراتب تسلسلية، إذ عثر على ثلاث نصب على وظيفة **"رب كاهنيم"** التي تعني باللغة العربية **"رئيس الكهنة"** (21)، أما وظيفة **(ك هـ ن) كاهن**، فكانت منقوشة على تسعة نصب (22)، إذن كان معبد الحفرة، يخضع لوظائف دينية تشبه تلك التي وجدت بمدينة قرطاج.

-"رب ك هـ ن م" "كهانيم (رئيس الكهنة)، وهو الكاهن الأعلى أو رئيس الكهنة (أنظر الصورة رقم 3) الذي يترأس معبد "بعل حمون" بسيرتا، وكان يشرف على إقامة الشعائر الدينية بالمعبد، حيث يترأس أيام الأعياد ويشرف على الأضاحي للإله وعلى تسير ممتلكات المعبد . وإلى جانب " **رب كاهنيم"**، تم العثور على **"رب كاهن ملقارت"** (23) مما خيل عن وجود معبد للإله **"ملقارت"** بسيرتا؟ وظهرت أيضا على هذه النصب رئيسة الكاهنات "أريشات" (24) (أنظر الصورة رقم 4)**.** ولعل هذا ما يؤكد على أن المجتمع السرتي، كان مجتمع متحضر يشارك المرأة في العديد من المناصب بالمملكة منها المناصب *الدينية* و شغلت **"رب ت ك هـ ن م ت "** و تؤدي عملها كما يؤديه الرجل.

الصورة رقم 3
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير لوظيفة رب ك هـ ن م (رئيس كاهنة)

الصورة رقم 4
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير لوظيفة ر ب ك ت هـ ن م ت (رئيسة الكاهنات)

الصورة رقم 5
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير لوظيفة ك هـ ن (الكاهن)

كان يعين **"رئيس الكهنة"**، حاكم البلاد، إذ يكلفه برعاية إهداءات وثروات الإله، إلا أنه في الحضارة المصرية، كان الفرعون يسلمه خاتمين من الذهب وعصا رمزية و يقلده الوظيفة، لكن نجهل ما كان يحدث بسيرتا.

-"ك هـ ن " (كاهن) : وهي الطبقة الثانية في سلم الوظائف الكهنوتية، وظهرت كما سبق و أن أشرنا على تسعة نصب،(أنظر الصورة رقم 5) والملاحظ أنه تقلد هذا المنصب كذلك من كان يحمل اسم لوبي **" م س ف د "** "ماسوفود" استنادا لأحد نصب معبد الحفرة.(25)

وكان هؤلاء الكهنة يقومون بالعديد من المهام، منها تقديم البخور، وأدوات العبادة، وتنظيف تمثال الإله، ورش أرضية المعبد، وكذا الجزارين الذين يسهرون على التضحية وكذلك منهم الحراس وأهل الحرف والحلاقون المقدسون المكلفون بحلق شعر من يريد تقديم شعره للآلهة.(26)

وبما أن المعبد مركز لحياة مثقفة نشيطة، كان الكهنة وبمختلف درجاتهم يتنافسون على معرفة طبيعة الآلهة، ويضعون أشعار مقدسة وأساطير تشير إلى مغامراتها ومع الآسف تفتقدها نقوش معبد سيرتا.

نظرا لبروز وظيفة **"رب هـ س ف ر م"** أي "رئيس السطارين" (27) أو رئيس الكتاب " ووظيفة **"هـ س ف ر" (الساطر)** (28) على نصب معبد الحفرة، نستخلص وجود ملحقات بالمعبد تقوم بوظائف تربوية، فهذه النصب تثبت مدى انتشار الكتابة والقراءة في المجتمع السرتي ذوي الثقافة البونية، ووجود رئيس السطارين، دليل على وجود نظام بالمملكة النوميدية يحرس على تعليم ونشر الكتابة والقراءة وهذا ما رسمه كل من الملك "ماسينيسا" وإبنه الملك "مكوسن". ولعل النقيشة التي عثر عليها بضواحي مدينة "قالمة" والتي ترجمها ج.فيفري "G.Fevrier " ابعبارة **"قف آيها المار وأقرأ".** (29)،لا خير دليل على ذلك.

لقد كان إذن معبد سيرتا مثل باقي معابد المملكة، مؤهل لاستقطاب الأطفال، ففيه يتعلمون القراءة و الكتابة و يتلقون أسس التربية.

كما أنضم أيضا للكهنة، العرافون الذين كانت مهنتهم معرفة المستقبل وتفسير الأحلام. ولعل هذه المهنة كانت موجودة بالمملكة منذ فترات قديمة، حيث كانت والدة الملك "ماسينيسا" تتعاطى العرافة، كما أشارت المصادر القديمة (30)**.** وانظم إلى هذه الوظيفة الدينية أيضا العزامون الذين يقومون بطرد الأرواح الشريرة بالرقي والعزائم والسحر.

لقد كان الكهنة يلبسون بردا كتانية وأنهم يحلقون رؤوسهم، وكانت الكاهنات ترتدي لباس بأجنحة مثل الصورة التي عثر عليها منحوتة على صندوق جنائزي أكتشف بقرطاج**.**(31)

غير أن، هذه الوظائف الكهنوتية، من الوظائف الشرفية، إلا أنها وقفا على بعض الأسر، حيث اكتشف بمدينة قرطاج شاهد قبر يضم خمس أجيال من كبار الكهنـة. لعل هذا ناتج لقيمة الوظيفة، التي تقلد صاحبها مركزا مرموقا في المجتمع، وما تجنيه من أموال له مما جعلته من كبار الميسورين . فكان أجر الكاهن يخضع لنوع الذبائح، فمثلا حدد في معبد "بعل صافون" بلبنان، أن كل كاهن يتقاضى "عشر قطع من الفضة عن الثور وبعض من اللحم ، وخمس قطع من الفضة وبعض من اللحم عن الكبش، أما عن العنزة فمثقالا من الفضة**.**(32)

إلا أن الشرف الذي يتمتع به هؤلاء الكهنة، قد تشوبه بعض المخاطر، إذ الذي يقدم نفسه للإله، فإنه يوضع كل شيء بين يديه، لكن بخطأ صغير منه، قد يفقده حياته، مثل ما حصل في عهد الملك "ماخوس **Makhus**"، الذي ضحى بكاهن الإله "ملقارت"، لأنه لم يقف معه في انقلابه**.**(33)

3. وظيفة " ر ب م ش ط رت " (رئيس الضابط) و "م ش ت ر "(ضابط) :

أفادتنا نقوش معبد الحفرة عن وجود وظائف عسكرية بالعاصمة "سيرتا، التي كان أصحابها يترددون على المعبد لتقديم النذور والعبادة للإله "بعل حمون"، فكان منهم **"ر ب م ش ط ر ت "(رئيس الضباط)** (أنظر الصورة رقم 6) وكذلك **"م ش ط ر " ضابط** (34) (أنظر الصورة رقم 7).

ولعل هؤلاء القادة العسكريين والضباط مستقرين بسيرتا، أو في بعض المدن المجاورة، وربما من العناصر المشكلة للجيش النظامي (الملكي)، الذي أنشأه الملك "ماسينيسا" حتى يتأقلم مع التشكيلة القبلية للمجتمع. فكان نواة جيش المملكة والذي يتجمع حوله الفرق العسكرية للقبائل التي تكون تحت تصرف الملك في وقت الحرب.

إلا أننا استنتجنا من نصب معبد الحفرة، أن أصل هؤلاء القادة والضباط أجانب، اعتمادا على أسمائهم، فقد ظهرت أسماء إغريقية مثل " طرسس أبولوتيميوس" "**Thraces Appollothènis** (35) (أنظر الصورة رقم 8) وأسماء بونية مثل رئيس الضباط "ماجون بن بعلنيللق" (36) وضابط "عبد ملقارت بن أريشام" (37) وغيرها من الأسماء التي ذكرت على **تسعة** نصب. (38)

الصورة رقم 6
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير لوظيفة ر ب م ش ط ر
(رئيس ضابط)

الصورة رقم 7
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير لوظيفة م ش ط ر (ضابط)

الصورة رقم 8
نصب كتابي يحمل كتابة إغريقية تشير لضابط إغريقي يدعى "طرسس أبولوتيميوس"

الصورة رقم 9
نصب كتابي يحمل كتابة بونية تشير لمهنة ر ف أ (طبيب) و مهنة ن ج ر (نجار)

غير أن هذه المعلومات تجعلنا نعتقد أن الملك "ماسينيسا" وابنه الملك "مكوسن" قد قاما بتوظيف قواد وضباط عسكريين أجانب من أجل حماية العاصمة والمدن المجاورة لها من جهة، وتدريب جيش المملكة من جهة أخرى.

وربما نظرا للتأثر الواضح للمجتمع السرتي بالمجتمع البوني القرطاجي، جعل التعامل مع هؤلاء الموظفين العسكريين سهل، بل حتى السلاح الذي كان يستعمل بنوميدية، كان يشبه السلاح الموجود بقرطاجة خلال تلك الفترة، استنادا على الصور التي ظهرت على هذه النصب . (39)

إلا أن الباحث ج. كامبس "G.Camps" كانت له وجهة نظر أخرى، حيث أعتقد أن وظيفة **" ر ب م ش ط ر ت "** يمثل رئيس مجلس **"الخمسون"** الذي أشير إليه في نقيشة دوقا (40)، وربما بهذا يكون النظام الإداري للمدن النوميدية، يعتمد على شفطين يترأسان"بعلو سيرتا" أي مجلس الشيوخ، و" **رب م ش ط ر ت "** رئيس الخمسون، ولهذا أشارت نقيشة "دوقا" إلى وجود ثلاث أشفاط تسير المدينة.

كما يمكن اعتبار هؤلاء القواد أيضا، رؤساء القبائل الذين يترأسون الفرق العسكرية، لكن تبقى كل هذه الاحتمالات، غير أكيدة وتحتاج لمصادر جديدة لإثباتها أو نفيها.

ب- مهن حرة:

صورت لنا نقوش معبد الحفرة، أن المجتمع السرتي، يتكون من فئة ميسورة الحال تمتهن أعمالا حرة، فكانوا صناعا وأطباء ونجارين...الخ، ولقد جرت العادة في المجتمعات القديمة أن يرث الأبناء مهنة آبائهم ويحفظون أسرارها، وتبقى محصورة ضمن العائلة الواحدة، ولقد سكن هؤلاء العمال في أحياء خاصة بمدينة سيرتا، كما انتعشت أعمالهم التجارية خاصة بعد توحيد المملكة النوميدية من طرف الملك "ماسينيسا"، حيث باسترجاعه أملاك آبائه وأجداده التي كانت بحوزة القرطاجيين، أصبحت المملكة تشرف على جميع المدن الساحلية التي تتم بها المبادلات التجارية، وتتعامل مباشرة مع مدن البحر المتوسط الإغريقية والإيطالية والمصرية والسورية، وبهذا قضت على دور الوساطة التجارية القرطاجية (41)**.** وأصبحت مدينة سيرتا من أهم الأسواق التجارية الموجودة بالمملكة، إذ كانت تضم تجار من مختلف المناطق، وهناك إشارة في هذا الموضوع للجغرافي سترابون **"Strabon"** حيث ذكر أن السحارويين والفاروزين ينتقلون بقوافلهم على أحصنة لقطع الصحارى والبحيرات الملوثة للمتاجرة في عاصمة النوميدين سيرتا (42)**.** غير أنه لوجود العديد من المهن، اخترنا منها **" ر ف أ" (طبيب)** و **"ن ج ر" (نجار).**

1. **مهنة " ر ف أ " (طبيب)** : بعد حصرنا للنقوش التي أشارت لمهنة **" ر ف أ " (طبيب)** والتي بلغت **ثلاثة** نصب (43)، (أنظر الصورة رقم 9) تأكدنا أن مهنة طبيب، كانت موجودة بمدينة "سيرتا"، إلا أننا نتخيل أنها كانت تشبه ما كان حاصل في قرطاج. هذه الأخيرة التي استعانت في ميدان الطب بالفينيقيين الذين يتمتعون بخبرة جيدة في هذا الميدان.

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه علينا، هل انفصلت مهنة الطبيب عن وظيفة الكاهن بسيرتا" أم استمرت؟، حيث كانت مهنة الطب في البداية مرتبطة بالسحر و التنجيم حيث كان يعتقد أن المرض ناتج عن قوى غير طبيعية، ولمعالجته يحتاج إلى قوى أخرى طبيعية، تستمد من الإله أشمون، "إله الشفاء" وهذه القوة يتحلى بها "كاهن أشمون**".** (44)

إلا أنه فيما بعد انفصلت هذه المهنة عن السحر، والتنجيم، وأصبحت مستقلة تدر أموالا لصاحبها ويرتقي بها إلى الطبقة الميسورة في المجتمع (45)، ونلاحظ أن الإجابة على هذا السؤال ما زل بعيدا عنا لنقص الوثائق ونأمل في أبحاث جديدة حتى نتمكن من الإجابة عنه.

2.**مهنة " ن ج ر" (نجار)** : لقد تم التطرق إلى مهنة **" ن ج ر" (نجار)** على ثلاث نقوش من نصب معبد الحفرة (46) (أنظر الصورة رقم 9) وهذا ما يؤكده عن ممارسة المجتمع السرتي لهذه المهنة، ولعل وجودها مرتبط بتأثير المملكة النوميدية بقرطاج، حيث كانت هذه الأخيرة، تضم أفضل النجارين بالمنطقة، بحكم أن أجدادهم الفينيقيون، كانوا من كبار صناع الخشب، الشيء الذي دفع بالنبي " سليمان" عليه السلام، إلى

طلب المساعدة من ملك صور" أحيرام" بإرساله خشب الأرز ومهندسين ونجارين لبناء " بيت المقدس". (47)

ونظرا للثروة التي تجلبها تلك المهنة جعل المجتمع السرتي يتمسك بها، فكانوا يصعون السفن و ترميمها سواء الحربية أو التجارية، وصناعة الأثاث المنزلية التي يتسارع لاقتنائها الطبقة الثرية، وصناعة الصناديق الجنائزية، وبعض التماثيل الآلهة مثل الإله "باس" الذي أكتشف بسيدي مسيد بقسنطينة، ورأس لتمثال الإلهة ديميتير **"Démèter"** من خشب الأرز مذهب الذي أكتشف بقرطاج.

كما أنه من خلال تلك البقايا التي عثر عليها نجد النجار أصبح يتفنن في الصناعة فلقد تم اكتشاف بقرطاج العديد من مسامير لصناديق جنائزية كانت رؤوسها مذهبه. (48)

وحتى أوضح أكثر هذه الدراسة، وجدت من الضروري أن أقدم جدول أبرز فيه أسماء الوظائف الرسمية والمهن الحرة بمدينة سيرتا من خلال نصب معبد الحفرة.

أسماء الوظائف و المهن	النوع	عدد النصب التي تحمل الوظائف و المهن
ش ف ط (قاضي، حاكم)	وظيفة إدارية	8 نصب
ر ب ك هـ ن م (رئيس الكهنة)	وظيفة دينية	3 نصب
ك هـ ن (كاهن)	وظيفة دينية	9 نصب
ر ب م ش ط ر ت (رئيس الضباط)	وظيفة عسكرية	4 نصب
م ش ط (ضابط)	وظيفة عسكرية	5 نصب
ر ف أ (طبيب)	مهنة حرة	3 نصب
ن ج ر (نجار)	مهنة حرة	3 نصب

نستخلص من هذا الجدول أن الطبقة المترددة على المعبد هي فئة النبلاء أي الطبقة الأولى في المجتمع، حيث كانت عدد الكهنة يبلغ **12** نصب ثم نجد فئة الضباط حيث بلغ عدد النصب **9**، ثم نجد طبقة " ش ف ط " (قاضي، حاكم) حيث يبلغ العدد **8** نصب، ثم تأتي فيما بعد طبقة العامة ولكن الميسورين الحال من أطباء **3** نصب ونجار **3** نصب.

غير أن هذا الرأي يشوبه بعض من الشك، نظرا للتهميش الذي حدث في النصب والذي لم تسمح لنا بمعرفة بعض المهن و الوظائف الأخرى.

الخاتمـة

نستخلص من نقوش معبد الحفرة، أنها تمثل جزء مهم من ثوراتنا ومصادرنا التاريخية التي يجب إعطائها عناية كبيرة، حيث أفادتنا من إلقاء الضوء على جانب من جوانب المجتمع النوميدي من خلال التطرق إلى بعض الوظائف الرسمية والمهن الحرة التي كان يمارسوها، وكان يتكون هذا المجتمع من طبقة النبلاء الذين يمتهنون وظائف رسمية، كالأشفاط (حكم، قضاة) ورؤساء الكهنة والكهنة وكذلك رؤساء الضباط والضباط و غيرهم، ويتكون المجتمع السرتي أيضا من فئة ميسورة الحال، تمتهن هي الأخرى مهن حرة، كالطبيب والنجار...

غير أنه من خلال هذه النقوش والوظائف استخلصنا أن المجتمع السرتي، صورة من المجتمع القرطاجي، كان متحضر ومتفتح، أعطى اهتمام للمرأة حيث سمح لها بأن تكون رئيسة الكاهنات، وسمح لها أيضا أن تقدم النذور.

إلا أننا اعتمدنا في محاولة توضيح بعض من ملامح المجتمع السرتي الغير واضحة، على مقارنة بالمجتمع القرطاجي، على أساس أن إرادة الملوك النوميديين في جعل من مدينة سيرتا النوميدية ، مدينة قرطاج ، وهذا بعد هزيمتها في معركة "زاما" في **203** ق.م وسقوطها سنة **147** ق.م على يد الرومان.

هوامش المادّة العلمية

1. A.Berthier et R. Charlier, le sanctuaire punique d'El Hofra à Constantine, Arts et métiers Graphiques, Paris, 1955,p.1.

2. سفر الملوك الثاني، الإصحاح الثالث و العشرون، التوراة.

3.M. Leglag, Saturne Africain, monuments, T. I (Afrique proconsulaire), Paris, 1961, p. 24 .

4. A.Berthier et R. Charlier, op-cit., p.4 .

5. Ibid., pp. 5-8.

(*)-الملك ماسينيسا: ولد ماسينيسا بن غايا حوالي 238 ق.م تربى في بدخ و ترف و قضى معظم شبابه في قرطاج ، حيث تشبع بروح الحضارة القرطاجية . تولى الحكم حوالي سنة 201 ق.م وعندها وسع مملكته على حساب قرطاج حتى شملت من نهر ملوشة غربا إلى طبرقة شرقا وهو صاحب المقولة " إفريقيا للأفارقة..."، للمزيد من المعلومات أنظر: أ.صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ ، ج1، الدار التونسية للنشر، بوسلامة ، تونس ، 1959، ص50.

(**)- الملك مكوسن:يعرف في المصادر بميسيبسا، و هو الإبن الأكبر لماسينيسا، تقاسم العرش مع أخويه "غلوسن" و " مستنبعل" بعد وفاة أبيهم سنة 148 ق.م إلا انه و بعد عشرة سنوات أنفرد بالحكم لما توفى أخويه و كان ذلك سنة 139 ق.م . حكم مكوسن إلى غاية 118 ق.م حافظ على مملكة أبيه فقام بتشييد العديد من المنشآت...، للمزيد من المعلومات انظر: م. حسين فنطر، الحرف و الصورة في العالم قرطاج ، أليف ، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي ، تونس، 1999، ص 341.

6. G. Camps, Massinissa ou les début de l'histoire, libyca, T. VIII, 1960, p. 259.

7. A.Berthier et R.Charlier, op-cit, n° 67, pl. XIV, C ; n° 72, pl. XIV, D.
8. Ibid, n° 102 , pl. XI, A .

9.Ibid, n° 105 , pl. XI, B .

10.Ibid, n° 1, lat , p. 176.

11.Ibid, n° 112, pl. XI, C .

12. Ibid, n° 102 , pl XI, C .

(13) -- Ibid, n°10 ; n° 21, pl. VI, D ;n° 58, pl. IX, A; n° 104, pl. XIII, C; n° 108, pl. XXV, B; n° 172; n° 243.

14. Ibid, n° 21, pl. VI, D.

15.Ibid, pp. 23-24.

16. م.ح فنطر، الحرف و الصورة في عالم قرطاج، تأليف منشورات البحر المتوسط، تونس، 1996، ص 32.

17.Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, trad. A.F. Miot, paris, 1934, XXIV, 10, 2.

18. Sallustius, Bellum Iugurthinum, Trad, A. Ernout, les belles lettres, paris, 1964, XIVI, 5.

19. Titius Livius, Histoire Romaine, Trad, M.Nisaud, T. II, XXX, 12.

20. M.H. Fantar, que nous savons nous des institutions municipales dans le monde de Carthage (Reppal), T. IV, Tunis, pp. (210-211)

21. A.Berthier et R.Charlier, op-cit, n° 65, pl. XXXVII, A ; n° 66, pl. XIV, B; n° 67, pl. XIV, C- .

22. Ibid, n° 68, pl. XIV, A ; n° 69 ; n° 70 ; n° 71 ; n° 177 ;n° 235 ; François Bertrandy- Maurice Sznycer, les stèles puniques de Constantine, ministère de la culture et de la communication, Paris 1987, n° A05279 , Costa. 13, p. 298; n° A05282, p. 301. .

23. A. Berthier et R. Charlier, op-cit, n° 66, pl. XIV, B.

24. Ibid, n° 67, pl. XIV, C.
25. Ibid, n° 71.

26. لبيب عبد الساتر، الحضارات، ط2، دار الشرق، بيروت، لبنان، ص ص 139-140.

27. A.Berthier et R. Charlier, op-cit, n° 281, p.165

28. Ibid, n° 90, pl. XV, A, n° 91.

29. م.ح فنطر، المرجع السابق، ص 66.

30. Zonaras, IX, 2-

31. G. Ch, et C. Picard, la vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal, IIIe S. av-Jc, Paris, 1958, p. 75.

32. لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص 123.

33. G. Ch, et C. Picard, op-cit., pp. 76-79 .

34. A. Berthier et R.Charlier, op-cit, n° 74, pl. XVII, A ; n° 75 ; n° 76 ;n° 77, pl. XVIII, D.

35. A.Berthier, La Numidie, Rome et le Maghreb, Picard, Paris, 1981, p. 85.

36. A.Berthier et R. Charlier, op-cit, n° 77, pl. XVIII, D.

37. Ibid, n° 79, pl. XV, B.

38. Ibid, n° 74-81.

39.G. Camps, op-cit, pp. 261-265.

40.Ibid, p. 265 .

41. Ibid, op-cit, p. 128.

42.Strabon, Géographie, livre XVII, 3, 13, trad.Gd A Tardien, Hachette, Paris, 1886.

43. A. Berthier et R. Charlier, op-cit, n°92 ;n° 95, pl. XIII, D ; François Bertrandy- Maurice Sznycer, op-cit, n° A01014, Costa, 112, p. 182.

44. لبيب عبد الساتر، المرجع السابق، ص 114.

45. نفس المرجع، ص119.

46. A.Berthier et R.Charlier, op-cit, n° 95, pl. XIII, D, n° 96, pl. XVI, A, n° 97.

47. فليب حتي، تاريخ سورية و لبنان وفلسطين، ج1، ت/ جورج حداد، دار الثقافة، بيروت، 1960، ص137.

48. G. Ch et C. Picard, op-cit, pp. 103-104 .